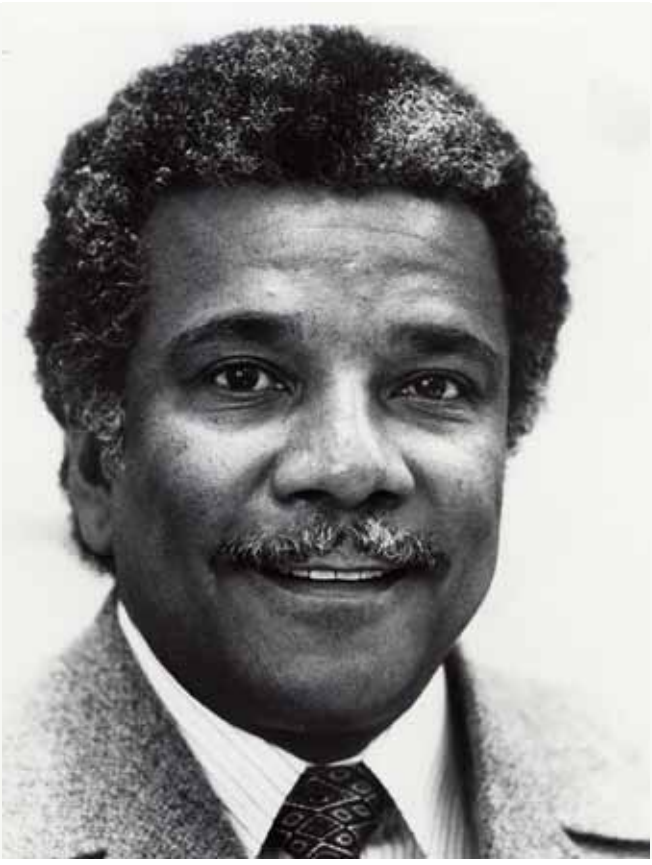

الهوية والنهضة الإفريقية.. قراءة في فكر علي أمين مزروعي

أ.دعاء عبدالنبي حامد

باحثة دكتوراه في الفلسفة الإفريقية الحديثة والمعاصرة- كلية الآداب جامعة القاهرة

تُعَدُّ إشكالية الهوية والنهضة الإفريقية من القضايا الرئيسة التي تناولتها الفلسفة الإفريقية الحديثة والمعاصرة، لما لها من أهميةٍ في تحديد وتحقيق الذات الإفريقية، فقد شكّلت قضية الهوية الإفريقية جدلاً واسعاً في السياقات الثقافية والسياسية والاجتماعية، خاصةً في ظل التأثيرات التي خلّفها الاستعمار وما تبعه من تحديات العولمة.

تُمثّل هذه الهوية، ليس فقط انعكاساً للتنوع الثقافي واللغوي للقارة، بل أيضاً تعبيراً عن إرثها التاريخي، وتجاربها في المقاومة والنضال من أجل التحرر. في المقابل؛ فإن النهضة الإفريقية تُجسّد تطلعات القارة نحو استعادة مكانتها في المشهد العالمي، مستندةً إلى استثمار مواردها البشرية والطبيعية، وتعزيز قدراتها على الابتكار والتنمية المستدامة.

ترتبط النهضة الإفريقية بجهودٍ متواصلة لبناء مجتمعات أكثر عدالة واستقلالية، مع التركيز على التعليم، والتكنولوجيا، والتكامل الإقليمي.

سعت الفلسفة الإفريقية إلى استكشاف الجوانب العميقة للهوية، بما في ذلك القيم والمعتقدات والعلاقات الاجتماعية التي تُميّز المجتمعات الإفريقية، في هذا الإطار أدت الفلسفة الإفريقية دوراً محورياً في مناقشة العلاقة بين الهوية والاستقلال الثقافي من جانب، والهوية والنهضة الإفريقية من جانبٍ آخر، حيث دعت إلى استعادة القيم الإفريقية الأصلية، والبحث عن مسارات فكرية تعكس خصوصية التجربة الإفريقية في مواجهة التحديات العالمية، كما تساءلت حول الكيفية التي يمكن بها تحقيق توازن بين الهوية المحلية والانخراط في العالم الحديث دون التنازل عن الخصوصية الثقافية، كما بحثت الفلسفة الإفريقية السبل التي يجب اتباعها من أجل تحقيق التنمية والنهضة الإفريقية.

ولأهمية الموضوع تسعى هذه الدراسة إلى استكشاف العلاقة بين الهوية الإفريقية كركيزة أساسية للوعي الجمعي، والنهضة كحركة تُعزّز الطموحات المشتركة لشعوب القارة، وفقاً لرؤية علي أمين مزروعي أحد أهم المفكرين الأفارقة في العصر الحديث، فقد سعى مزروعي لفهم التحديات التي تواجه القارة في ظل الاستعمار وما بعده، وتركز فكر مزروعي في تحقيق التوازن بين التراث الإفريقي والإسلامي والغربي، وسعى إلى استكشاف كيفية دمج هذه الهويات الثلاث في إطار واحد يحقق التنمية والنهضة الإفريقية. أيضاً توضح الدراسة رؤية مزروعي حول إعادة صياغة علاقة إفريقيا بالعالم، باستخدام النهج التحليلي لأهم أفكار مزروعي حول الهوية والنهضة الإفريقية.

وتطرح الدراسة عدة تساؤلات، أهمها:

- ما موقف علي أمين مزروعي من نظام الحكم في إفريقيا ما بعد الاستعمار؟
- كيف فسّر علي أمين مزروعي فكرة الهوية الإفريقية؟
- ما العناصر التي يعتبرها علي أمين مزروعي أساسية لتشكيل الهوية الإفريقية؟
- كيف فسر علي أمين مزروعي العلاقة بين تعزيز الهوية الإفريقية وتحقيق النهضة؟
- ما هي رؤية علي أمين مزروعي حول الحداثة والنهضة الإفريقية؟
- هل يؤثر التنوع الثقافي والعرقي في إفريقيا في تحقيق رؤية علي أمين مزروعي للنهضة والهوية؟

ووفقاً للتساؤلات السابقة تدور الدراسة حول عدة محاور، وهي:

١- السيرة الذاتية لعلي أمين مزروعي.
٢- تحليل مزروعي لنظام الحكم والزعامة في إفريقيا بعد الاستعمار.
٣- موقف مزروعي من الهوية الإفريقية.
٤- تحليل مزروعي للميراث الثلاثي وتداعياته على القارة الإفريقية.
٥- من الهوية إلى الوحدة الإفريقية.
٦- رؤية علي أمين مزروعي للنهضة الإفريقية.
٧- الحداثة والنهضة الإفريقية والمعتقدات التقليدية.
٨- نقد علي مزروعي.

أولاً: السيرة الذاتية لـ«علي أمين مزروعي»:

وُلد علي أمين المزروعي (٢٤ فبراير ١٩٣٣م/١٢ أكتوبر ٢٠١٤م) في مدينة مومباسا الكينية، وترجع أصول عائلته إلى سلطنة عمان، حيث نزح أفراد هذه الأسرة في مطلع القرن السابع عشر الميلادي (١٦٠٠م)، وتولى أفرادها وبصفةٍ متواصلة حكم مدينة مومباسا (في كينيا) وما جاورها، حيث كان جده يعمل قاضياً في مومباسا، وكذلك والده عمل قاضياً، وبعد ذلك عُيّن رئيساً للقضاة في كينيا[1].

(١) Ali. A. Mazrui. https://ar.wikipedia.org/

حصل مزروعي على درجة البكالوريوس في العلوم السياسية من جامعة مانشستر البريطانية (١٩٦٠م)، والماجستير من جامعة كولومبيا في نيويورك بالولايات المتحدة الأمريكية (١٩٦١م)، والدكتوراه من جامعة أكسفورد ببريطانيا (١٩٦٦م). ولكن من عجيب المفارقات أن دراسته في الخارج، وليس في وطنه، هي التي زرعت بذور النزعة الإفريقية في نفسه، والواقع أن السنوات التي امتدت بين سنوات دراسته الجامعية ودراساته العليا كانت هي السنوات (من الخمسينيات إلى الستينيات) التي بلغت فيها الحركة المُطالِبة بالاستقلال بين البلدان الإفريقية ذروتها.

وعلى هذا؛ فقد كان الطلاب من أصل إفريقي في أوروبا ينادون بالاستقلال، وفي وطنهم تشكلت أحزاب سياسية، مثل مجموعة العمل ومجلس المواطنين النيجيريين في نيجيريا والحزب الشيوعي الغاني وغيرها، بهدف توفير وسيلة للتعبير عن الرأي وتأمين الحرية السياسية[١].

ساهم علي أمين مزروعي في مجالات مختلفة مثل العلوم السياسية والدراسات الإسلامية والدراسات الإفريقية والدراسات الثقافية والأدب، وقد اكتسب بذلك لقب «مزروعي المتعدد»، ومع ذلك فإن أعظم إسهاماته كانت في الدراسات الإفريقية والإسلامية.

ويُعتقد أن المزروعي ورث فن الكتابة من والده الذي كان كاتباً للنشر باللغتين السواحلية والعربية، ويقول: «كان والدي منخرطاً باستمرار في مناقشات حول الإصلاحات الاجتماعية والتفسيرات اللاهوتية للإسلام»[٢].

شملت اهتماماته البحثية السياسة الإفريقية، والثقافة السياسية الدولية، والإسلام السياسي، والعلاقات بين الشمال والجنوب. تجاوزت مؤلفات المزروعي الثلاثين كتاباً، أهمها: «نحو السلام الإفريقي» (١٩٦٧م)، وكتاب «اتحاد الثقافات العالمي: منظور إفريقي» (عام ١٩٧٦م)، والقوى الثقافية في السياسة العالمية (١٩٩٠م). ومن أحدث كتبه «الإسلام بين العولمة ومكافحة الإرهاب» (عام ٢٠٠٦م)[٣].

شغل مزروعي العديد من مناصب الأستاذية الزائرة، وألقى محاضرات في خمس قارات، وحصل على العديد من الزمالات، وشارك في العديد من مشاريع الأمم المتحدة، بما في ذلك مُحرِّر «تاريخ إفريقيا العام» لليونسكو.

نشر مزروعي على نطاق واسع في مجال الدراسات الثقافية الإفريقية والممارسة السياسية الدولية، ولعل أكثر ما اشتهر به هو سلسلة أفلام «الأفارقة: ميراث ثلاثي»، التي أنتجتها هيئة الإذاعة البريطانية بي بي سي Annenberg/CPB Project، والتي كتبها وأخرجها[٤].

■ مسألة الفلسفة الإفريقية:

وفيما يتصل بمسألة الفلسفة الإفريقية؛ حدّد مزروعي ثلاث مدارس فلسفية في إفريقيا:

١- الفلسفة الثقافية:

هي المدرسة الأولى في الفلسفة الإفريقية، والتي تضرب بجذورها في المقام الأول في التقاليد الأصلية للقارة، وهي التي يُطلَق عليها أحياناً «الفلسفة العرقية». تميل هذه الفلسفة إلى اكتساب الطابع الجماعي، وهي تنتقل من جيل إلى جيل عن طريق التراث الشفوي. النطاق الزمني لهذه المدرسة يضم ثلاث مراحل: الأولى هي ما قبل الاستعمار، والثانية هي الحقبة الاستعمارية، والثالثة حقبة ما بعد الاستعمار. هذا التيار يُعدّ أقدم جوانب التراث الفلسفي الإفريقي، وله القدرة على الثبات والاستمرار. ينتمي أعضاؤها إلى حركة الحفريات، مثل

_wiki/%D8%B9%D9%84%D9%8A

(١) Akoda, Winifred E. (2015). The Contributions of Ali Mazrui to African Historical Scholarship. International Journal of Humanities Social Sciences and Education (IJHSSE). Vol.2. Issue 6. pp.65-69. p.65.

(٢) Ibid. p.66.

(٣) Ibid.

(٤) Mudimbe, V. Y. & Kavwahirehi, K (eds.). (2021). Encyclopedia of African Religions and Philosophy. Springer. p.440. https://doi.org/10.1007/978-94-024-2068-5

بلاسيدا تيمبلز، وألكسيس كاجامي، وجون مبيتي[١].

٢- الفلسفة الأيديولوجية:

هي مدرسة فكرية متجذرة في التقاليد المحلية، وتهتم المدرسة الأيديولوجية في المقام الأول بالعمل السياسي والتحرر، اهتمت هذه المدرسة بالفلسفة القومية لمكافحة الاستعمار وخلق أيديولوجية سياسية لإفريقيا كمشروع لإنهاء الاستعمار. من أشهر أعضاء هذه المدرسة: كوامي نكروما، وليوبولد سنجور، وجوليوس نيريري. كان هؤلاء المفكرون القوميون أولاً وقبل كل شيء مناضلين ضد الاستعمار من أجل الحرية.

مع المفهوم الثقافي لـ«الزنجية» حقق سنجور شهرةً باعتباره واحداً من المفكرين الأكثر أصالةً وأهميةً للخروج من إفريقيا السوداء. ومع فكرة «الضمير» دعا نكروما إلى إعادة اكتشاف إفريقيا جديدة تكون قادرة على الوقوف على قدميها. ومع مفهوم «أوجاما» ujamaa (الأسرة) أعلن نيريري فلسفة اجتماعية وسياسية واقتصادية لإفريقيا المنتعشة. ويعتقد هؤلاء الفلاسفة السياسيون أن الاشتراكية كانت النموذج الاجتماعي السياسي المثالي لإفريقيا الخارجة من ركود الحكم الاستعماري[٢].

٣- الفلسفة النقدية:

هي مدرسة متأثرة بشدة بالغرب، فترى أن الفلسفة خطاب عقلاني علمي ودقيق منطقياً. وهي مدرسة تشبه التيار الأيديولوجي في أنها تمثل ردّاً يرجع إلى العهد الاستعماري والعهد التالي له، كما أن المدرستين يستعملان اللغات الأوروبية في المقام الأول، وأنهما تأثرَا تأثيراً عميقاً بالتقاليد الفكرية الغربية. وعلى الرغم من وجود مفهوم التحرير في المدرسة النقدية فإن التحرير الذي تسعى إليه هو تحرير الفلسفة نفسها وليس إفريقيا، تحرير الفلسفة في إفريقيا من علم الأعراق وصراع الهويات. والأطروحة الأساسية للمدرسة النقدية في جوهرها هي أن الفلسفة لا تقوم إلا إذا التزم الفيلسوف بالحديث العقلاني، ويجب ألا تصبح الفلسفة خادمةً للدين أو للسياسة. وتطمح هذه المدرسة إلى إعادة الفلسفة إلى حظيرة الروح العلمية[٣].

لم تقتصر رؤية مزروعي على إفريقيا فقط، ولكن تعدى ذلك إلى النظر فيما يحدث في العالم كله من تطورات سريعة وجذرية. يفخر المزروعي بهويته الإفريقية والإسلامية في الوقت نفسه، وله تحليلات عميقة لما يجري في العالم الإسلامي. كان مزروعي شديد الانتقاد للحدود العشوائية التي قسمت إفريقيا إلى دول، كما لم يكن مزروعي معجباً بالزعامات التي نشأت في الدول الإفريقية بعد الاستعمار، بل إنه نادى في التسعينيات بعد تزايد حالات الدول الفاشلة في إفريقيا بعودة الاستعمار بشكلٍ أو بآخر لتلك الدول[٤].

■ المنهجية التي اتبعها مزروعي في كتاباته:

وعن المنهجية التي اتبعها مزروعي في كتاباته؛ فهناك أدلة تشير إلى أنه استخدم أساليب متنوعة تتراوح بين التحليل المؤسسي والأيديولوجي فيما يتصل بموضوعات مثل الوحدة الإفريقية والقومية؛ والمنهج المقارن فيما يتصل بالفكر السياسي والأنظمة السياسية والأيديولوجيات وأنظمة الدولة؛ والإثنوغرافيا الذاتية في فهم قضايا النوع الاجتماعي[٥].

أيضاً استخدم مزروعي منهجية «تفاعلية» في صورة تشبه السيرة الذاتية، فمزروعي مغرم بالكتابة والحديث عن نفسه في سياق القضية التي يناقشها، ولكن أسلوب

---

(١) مزروعي، علي، تاريخ إفريقيا العام، المجلد ٨، اليونيسكو، ص (٧٢٥: ٧٢٧).

(٢) Agada, Ada. (2019). the Future Question in African Philosophy. p.398:400. https://www.researchgate.net

(٣) مزروعي، علي، تاريخ إفريقيا العام، المجلد ٨، ص٧٣٠.

(٤) عريف، محمد عبد الرحمن، علي مزروعي مفكر لم ينس هويته الإسلامية بين قارات العالم. https://islamonline.net/%D8%B9%D9%84%D9%8A-%D9%

(٥) Ndlovu-Gatsheni, Sabelo J. (2014). «My life is One Long Debate»: Ali A Mazrui on the Invention of Africa and Postcolonial Predicaments. Public Lecture delivered at the University of the Free State (UFS) on 'Ali A. Mazrui Memorial Event' hosted by the Vice Chancellor and Rector & the Centre for African Studies, Albert Wessels Auditorium, Bloemfontein Campus, 30 October. p.6.

الكتابة شبه السيرة الذاتية لدى مزروعي ليس شيئاً يتسلل إلى دراساته عرضاً، فقد زعم مزروعي أن «الوعي السياسي مرتبط ارتباطاً وثيقاً بنمو الوعي العام لدى الإنسان، ولذا فإن علماء السياسة لابد وأن يكرسوا المزيد من الوقت لاستخدام حياتهم كبيانات لدراسة نمو الوعي السياسي»، وكان مزروعي في الواقع يدعو إلى ما قاله ريتشاردسون Richardson في كتابه «الوعي السياسي: كيف نتعلم من تجاربنا؟».

إن «شبه السيرة الذاتية» تُشكّل عنصراً مهمّاً في الأسلوب الفكري الذي يتبناه مزروعي، وهو ما يعكس أيضاً توجهاته المعرفية، ونظراً لرحلته المهنية الطويلة فإن مزروعي لديه دائماً ما يقوله عن نفسه، والميزة الإضافية لنهج «شبه السيرة الذاتية» هي أنه زاد من فعالية كتاباته[١].

حاز مزروعي إعجاب الكثير من الشخصيات البارزة، ففي عام ١٩٩٥م كتب ماندیلا عن مزروعي إنه: «مُعلّم متميز، ومقاتل من أجل الحرية»، وفي عام ٢٠٠٠م وصفه كوفي عنان بأنه: «هدية إفريقيا للعالم»[٢]، ولقد وصفه ديفيد هوروويتز David Horowitz بأنه: «أحد أفضل مائة مفكر عام في العالم»، في حين أدرجه في قائمة «أخطر مائة أكاديمي في أمريكا»[٣]، وكتب عنه هيدلي بول Hedley Bull: «إنّ علي أمين مزروعي لم يكن فقط الكاتب الأكثر تميزاً الذي نشأ في إفريقيا السوداء المستقلة، والأكثر تعمقاً وتمييزاً في شرح أيديولوجية العالم الثالث، ولكنه أيضاً المفسر الأكثر تنويراً لانحراف السياسة العالمية، وهو أيضاً واحد من أكثر الكتاب الذين برزوا في إفريقيا السوداء المستقلة»[٤].

ثانيا: تحليل مزروعي لنظام الحكم والزعامة في إفريقيا بعد الاستعمار:

قدّم مزروعي رؤية تحليلية نقدية لنظام الحكم في إفريقيا ما بعد الاستعمار، حيث رسم صورة مظلمة لأسلوب الزعامة الإفريقية، والتي تبناها كوامي نكروما أول رئيس وزراء لغانا وأحد أوائل أنصار الوحدة الإفريقية. فقد ساهم مزروعي بواحدة من أولى المقالات وأكثرها إثارةً للجدال حول السرد المتعلق بسقوط نكروما من السلطة، والتي تحمل عنوان «نكروما: القيصر اللينيني» Nkrumah: The Leninist Czar.

كان التجديد الذي أحدثه مزروعي في نقد نكروما يتمثل في الجمع بين الاثنين، لينين والقيصر. وفي النهاية؛ خلص مزروعي إلى أن نكروما كان في نهاية المطاف مفيداً لإفريقيا، ولكنه كان سيئاً بالنسبة لغانا. وقال مزروعي: «لقد كان نكروما رجلاً عظيماً بفضل قيادته للبلاد إلى الاستقلال، لقد كان نكروما رجلاً عظيماً بفضل عمله الجاد للحفاظ على الوحدة الإفريقية كمثال سياسي، فقد أصبح نكروما رجلاً عظيماً. ولكن بسبب المأساة التي أحدثها في تجاوزاته المحلية بعد الاستقلال؛ فشل نكروما في أن يصبح غانيّاً عظيماً»[٥].

صوَّر مزروعي نكروما باعتباره رجلاً سعى إلى نحت اسم لنفسه باعتباره لينين إفريقيا، ولكنه بدلاً من ذلك، للأسف، أصبح قيصر غانا. كان لنقد مزروعي العديد من ردود الفعل المناهضة لكتاباته[٦]، فقد وجهت أما آتا أيدو Ama Ata Aidoo الشاعرة والروائية الغانية نقداً شديد اللهجة لمزروعي بالقول: «باعتباري شخصاً وُلد

(١) Adem, Seifudein. (2011). Ali A. Mazrui, post-colonialism and the study of international relations. p.522, 523.

(٢) Adem, Seifudein. (2015). Ali A. Mazrui (1933–2014) A great man, a great scholar. TYDSKRIF VIR LETTERKUNDE. 52 (1). p.223.

(٣) Ndlovu-Gatsheni, Sabelo J. (2014). «My life is One Long Debate»: Ali A Mazrui on the Invention of Africa and Postcolonial Predicaments. p.2.

(٤) Adem, Seifudein. (2011). Ali A. Mazrui, post-colonialism and the study of international relations. p.506.

(٥) West, Michael O. (2015). Kwame Nkrumah and Ali Mazrui: An Analysis of the 1967 Transition Debate. The Journal of Pan African Studies, vol.8. no.6. p.124.

(٦) Adjei, Paul Banahene. (2005). Mazrui and His Critics. The American Journal of Islamic Social Sciences. Vol.22 No.2. p.93.

وترعرع فـي غانا؛ فأنا أعلم يقيناً أن اسـم نكروما يثير العواطف والغضب بين الغانيين، ورغم تعاطفي الشـديد مع أولئك الذين عانوا تحت وطأة سياسـاته السيئة فإنني ما زلت أعترف، وكثيرون مـن الغانيين يتفقون معي، بأن أي رئيس دولة غاني لا يسـتطيع أن يساوي أو يتفوق على إنجازات نكروما. فما الذي يجعله إذن غير مؤهل لأن يكون غانياً عظيماً، كما افترض مزروعي؟».

أيضاً كتب مزروعي عن الرئيـس التنزاني جوليوس نيريري، وزعم أنه يحترم نيريري لمكانته الفكرية، وأصالة فكـره، ودعمه الثابت لحلم الوحدة الإفريقية، وعدم خلقه لعبادة الشخصية كما فعل العديد من أقرانه في إفريقيا، ومـع ذلك؛ فإنه يتهم نيريري بطعن المثقفين الآخرين في الظهر[١].

لموقف مزروعـي من الزعامـة الإفريقية تداعيات أدت إلـى اختفائه من الدراسـات ما بعد الاسـتعمارية؛ فمـن الناحية الأيديولوجيـة منذ نشـر مزروعي مقاله «نكروما: قيصر لينينـي» الذي زعم فيه أن نكروما أظهر أسـلوبين «ملكي» و«اشـتراكي» في القيادة، شعر اليسار الإفريقـي، الذي كان ينظر إلى نكروما باعتباره رمزاً لهم، بالاسـتياء من مزروعي. وفي أعقاب نشـر ذلك المقال؛ وصـف بعض المنتمين إلى هذا المعسـكر مزروعي بأنه «باحث استعماري جديد، وبظهوره ساخراً من نكروما فقد ابتعد مزروعي عن اليسـار الإفريقي، ذلك الاتجاه المؤيد للزعامة الجديدة»[٢].

لكـن إلى حدٍّ ما كان الحكم اليسـاري على مزروعي غيـر عـادل، ففي ذلك الوقـت كان مزروعي قد نشـر بالفعـل مقالات مثل «المواقـف الإفريقية تجاه الجماعة الاقتصاديـة الأوروبية»، حيـث انضم إلـى نكروما في إدانـة الجماعة الاقتصادية الأوروبيـة باعتبارها تهديداً للاستقلال الإفريقي الذي تم تحقيقه حديثاً. وعلى الرغم من المتاعب التي واجهها مزروعي مع اليسـار الإفريقي في سـتينيات القرن العشـرين؛ فإن كتاباته الأكثر جدية في السـتينيات كانت متماشـيةً تماماً مع تقاليد معاداة الإمبريالية[٣].

علـى أي حال؛ لم يكن موقـف مزروعي من نكروما سوى مقدمة، فقد كان لتفاعل مزروعي مع نكروما العديد من التكملة، التي امتدت على مدى ما يقرب من خمسـة عقـود، أصبح مزروعي أكثـر تقارباً مـع نكروما بمرور الوقت، وأصبح تقييمه لأول زعيم ما بعد الاسـتعمار في غانا أكثر إيجابيةً على نحوٍ متزايد مع مرور السنين.

وعلـى طول الطريق؛ أصبحت كتابـات نكروما توفر بعض اللبنات الأساسـية للمفهوم الذي يمثل أعظم إرث فكري لمزروعي، للجمهور العام إن لم يكن للمتخصصين، ألا وهو فكرة أن إفريقيا قارة ذات «تراث ثلاثي» (إفريقي وإسلامي وغربي)[٤].

لقـد تطور فكر مزروعي من معـارض لنكروما حتى أصبـح نكروما هو المعلـم الثاني له، وقـد تزامن هذا التطور في الفكر مع التطور في الممارسـة، فمن الصعب وصف مزروعي الذي يعيش في الشتات بأنه منفصل عن النضالات الإفريقية، كما زعم منتقدوه في السابق؛ أو بأنه عميل اسـتعماري جديد. وبعد أن أُعيد تشكيل مزروعي في الشـتات إلى مثقف عضوي متمرد ومتجاوز للحدود أثبت أنه أكثر اسـتعداداً؛ بل وحريصاً على دخول الساحة السياسـية المعادية للقانون الاستعماري، حيث دافع عن العديد من القضايا، بما في ذلك التعويضات عن العبودية والاستعمار للسود وحقوق الفلسطينيين الوطنية ضد نظام الفصل العنصري الإسرائيلي والاستعمار الاستيطاني[٥].

وللإنصـاف؛ فـإن موقـف مزروعي مـن الزعامة الإفريقية ربما كان ناتجاً عن مفكر يرفض التبعية الثقافية والتحرر من إرث المركزية الأوروبية، فقد أظهرت الزعامة الإفريقيـة تـأثرها بالنموذج الغربـي وتبنيها للاتجاهات

(١) Adjei, Paul Banahene. (2005). Mazrui and His Critics. p.93, 94.

(٢) Adem, Seifudein. (2011). Ali A. Mazrui, post-colonialism and the study of international relations. p.524.

(٣) Ibid. p.525.

(٤) West, Michael O. (2015). Kwame Nkrumah and Ali Mazrui: An Analysis of the 1967 Transition Debate. p.123, 124.

(٥) Ibid. p.135.

الغربية كالاشـتراكية الماركسـية، في حيـن أن إفريقيا ما بعد الاسـتعمار ينبغي أن تتحرر مـن التبعية الثقافية والسياسـية لتنتج نظاماً سياسـياً يتفق مع قيمة وأصالة المجتمعات الإفريقية، إن النقد الموجه من قِبَل مزروعي للزعامة الإفريقية لَهُو نقد بهدف تصحيح المسار.

وفي الواقع؛ هناك تشـابهٌ كبير بين موقف مزروعي من نظام الحكم وموقف أشيل مبيمبي الذي سلط الضوء على النظام السياسـي لإفريقيا ما بعد الاسـتعمار، من خلال تحليله لنظام الحكـم في الكاميرون، والذي أصبح صـورةً تحاكي نظـام الحكم الاسـتعماري، ومن ثم فإن مخاوف مزروعي من الزعامة الإفريقية مخاوف مشروعة.

ثالثاً: موقف مزروعي من الهوية الإفريقية:

لقد تم تقسـيم إفريقيا فـي مؤتمر برلين في الفترة (١٨٨٤م-١٨٨٥م)، لقد وضع المؤتمر على الأقل من حيث المبدأ القواعد الأساسية للاستعمار وتقسيم إفريقيا بين القوى الاسـتعمارية، لتقليل الاحتـكاك واندلاع الصراع بين القوى الاسـتعمارية المتنافسة، وقد تم رسم خطوط الترسيم دون مشاركة الأفارقة، ودون مراعاة الانقسامات العرقية الأصلية أو الخصائص الثقافية، وأصبح استغلال إفريقيا قانونياً، وأُجبرت مجموعات وأشـخاص متنوعون كانوا متميزين عرقياً ذات يوم على تبنّي هويات سياسـية مشـتركة، بسبب إنشـاء الدولة القومية، لقد كان مؤتمراً أعاد تشـكيل مصير الشعوب الإفريقية، ولا يزال له تأثير بعيد المدى في سياسـات إفريقيا الحديثة[١]، فقد أسهم الاستعمار في اختراع مفهوم الهوية الإفريقية، أو بالأحرى خلـق الوعي لدى الأفارقة بهويتهم المشـتركة، ومن جهة أخرى أفضـى رد الفعل ضد الاسـتعمار إلى خلق وعيٍ جديد بـ«التواصل الجغرافي»[٢].

فـي الواقع؛ لا يمكن للمرء أن يتحـدث عن إفريقيا دون أن يكـون لديه تصور مسـبق عن ماهيـة إفريقيا، فهوية إفريقيا كما نعرفها تتشـكل من تـراث ثلاثي، إن إفريقيـا مجرد خيال جغرافي، فقـد اعتقد مزروعي أن ما نطلق عليه الهويـة الإفريقية أو مفهوم «الإفريقي» هو في الأسـاس خيال من صنع رسـم الخرائـط الأوروبية والاسـتعمار والعنصرية والإمبريالية. ويعني هذا بالنسبة له أن أي محاولـة لتعريف إفريقيا، وبالتالي تحديد هوية الإفريقي، سـوف تؤدي حتماً إلى التوتر بين كون إفريقيا «حادثة تاريخية» و«الحقائـق الجغرافية». ولأجل انطلاق آمن عن مفهوم نظري لإفريقيا انتقل مزروعي إلى تحديدٍ أكثر تجريبيةً للأفارقة، وقد حدّد عدة أنواع من الأفارقة: الأفارقـة من ذوي الدمـاء، والأفارقة مـن ذوي التربة، والأفارقـة بالتبني، والأمريكيين من أصـل إفريقي. كما اخترع فئة جديدة أطلق عليها «الأفرابيان»، الذين اعتبرهم بناة جسور بين الأفارقة السود والأفارقة العرب[٣].

أظهر مزروعي كيف أسـهمت الزعامـات الإفريقية الوطنية، مثـل: نكروما ونيريرى، وجمـال عبد الناصر، وليوبولد سيدار سنجور، في القيام بدورٍ فعّال في اختراع وتأسـيس الهوية الإفريقية الجامعة. يعطى مزروعي في هذه المرحلة المبكرة أهمية كبيرة لبُعد الانتماء الجغرافي في تحديد الهوية لأن مصطلـح «الأفريقانية» يوحي بأن الجغرافيا هي العامل الحاسم في التعريف، لأن «إفريقيا» هي تسـمية جغرافية بالأساس، لذا نجد نكروما يؤكد أن «الحقيقة الأساسـية تظل هي أننا جميعاً أفارقة، ولدينا مصلحة مشتركة في استقلال إفريقيا»[٤].

وعلـى الرغم مـن وجود هويات فرعيـة داخل هذا الفضاء القـاري الإفريقـي، ومن خلال تحليلـه لتاريخ إفريقيا، ينتهي مزروعي إلـى القول بأن الهوية الإفريقية هي نتـاج مواريث حضارية ثلاثـة: الأصولية الإفريقية،

(١) Daudu, Innocent A. & Asuelime, Timi Legend. (2019). African Renaissance and Pan-Africanism: The Ethical Leadership Nexus. African Renaissance ISSN: 1744-2532 (Print) ISSN: 2516-5305 (Online). p.168. https://doi.org/10.31920/2516-5305/2019/s1n1a8

(٢) د. عبدالرحمن حمدي. (٢٠١٩)، الهوية الإفريقية وتحديات الميراث الثلاثي، مجلة أحوال مصرية، العدد ٧٢، ص١٧.

(٣) Njogu, Kimani & Adem, Seifudein. (2017). Critical Perspectives on Culture and Globalisation: TheIntellectual Legacy of Ali Mazrui. Twaweza Communications Ltd. p.181, 190.

(٤) د. عبدالرحمن حمدي، (٢٠١٩)، الهوية الإفريقية وتحديات الميراث الثلاثي، مرجع سابق، ص١٧.

والإسلام، وتأثير الغرب.

طرح مزروعي إشكالية الثقافة والارتباط بالغرب وتأثير ذلك في الهوية الإفريقية، فقد رأى أن إفريقيا في حالة تحوّل ثقافي، ففي الوقت الذي يرى فيه ثقافات إفريقية بعيدة تماماً عن تلك الموجودة في الدول الغربية؛ فإنها مع ذلك شهدت أسرع عملية تغريب عرفها القرن العشرون، هذا الصراع الثقافي قد دفع بالأفارقة إلى الوقوع بين متناقضين: «إما التمرد ضد الغرب، أو تقليده والسير في ركابه»[١].

لا شك بأن الهوية الإفريقية الحالية تشكلت بالفعل من خلال مزيج معقد ومتناقض من الثقافات الإفريقية الأصلية، فضلاً عن الثقافات الإسلامية والغربية المفروضة. ويرى مزروعي أن المآزق وعدم الاستقرار الذي يخيم على إفريقيا بعد الاستعمار يشكلان «أعراض للثقافات في حالة حرب»، حيث يقاتل الأفارقة «لتجنب زوال الهوية الإفريقية»، وفي قلب هذه «الحروب الثقافية» التراث الإفريقي الثلاثي، المتمثل في القوى الأصلية والإسلامية والغربية، التي تندمج وتتراجع وتتنافس وتتكامل في الوقت نفسه.[٢]

رابعاً: تحليل مزروعي للميراث الثلاثي وتداعياته على القارة الإفريقية:

اعترف مزروعي بأن تراثه الثلاثي جاء من «ثلاثة معلمين عظماء»، الأول هو إدوارد بلايدن Edward Blyden، المثقف الأسود البارز في القرن التاسع عشر، ومؤلف كتاب «المسيحية والإسلام والعرق الزنجي» Negro Race Christianity, Islam and the.

أما معلّمه العظيم الثاني فكان كوامي نكروما Kwame Nkrumah، والدروس التي تعلمها جاءت في معظمها من «الضمير».

وكان المعلّم الثالث العظيم هو حياته، فقد نشأ في مدينة مومباسا Mombasa الساحلية التي تقع على المحيط الهندي في كينيا، حيث «كان يمر عبر هذه الحضارات الثلاث عدة مرات كل أربع وعشرين ساعة، لقد كان يتعرض للغرب في المدرسة، والإسلام في المنزل وفي المسجد، وكان إفريقياً في المنزل وفي الشوارع، فقد كان هو نفسه يمتلك إرثاً ثلاثياً في طور التكوين»[٣].

في عام ١٩٨٦م أطلق مزروعي بنجاح مسلسله التلفزيوني «الأفارقة: تراث ثلاثي» (وقد اعتبُر هذا الفيلم الوثائقي بمثابة زعزعة للخطاب السائد حول إفريقيا).

يرى مزروعي أن كوامي نكروما قد صاغ مصطلح «الضمير» للإشارة إلى الحضارات الثلاث التي ساعدت في تشكيل إفريقيا المعاصرة؛ الميراث الإفريقي، والثقافة الإسلامية، وتأثير التقاليد وأنماط الحياة الغربية، ويشكّل التفاعل بين هذه الحضارات الثلاث جوهر التراث الثلاثي للقارة، وقد أعطى هذا اللون الطابع الفريد لإفريقيا كسوق ثقافي، يعكس مجموعة واسعة من الأفكار والقيم المستمدة من حضارات مختلفة، وكلها تتنافس على جذب انتباه الأفارقة والهيمنة، وقد يؤدي هذا التنافس على التفوق إلى صراعات مفتوحة. إن إفريقيا في واقع الأمر منطقة متنازع عليها، حيث تتنافس القيم الإسلامية والغربية الوافدة مع القيم والعادات الإفريقية الأصلية، حتى قبل أن يصل الإسلام إلى إفريقيا كان هناك تراث ثلاثي أقدم في القارة: التفاعل بين الثقافة الإفريقية، والثقافة السامية، وإرث اليونان وروما[٤].

يشير التراث الثلاثي لمزروعي إلى القوى الثقافية التي أعطت إفريقيا ما بعد الاستعمار خصائصها الحالية، ويرى مزروعي أن تأثير التراث الثلاثي في المجتمعات الإفريقية شامل، ومع ذلك فقد ثبت أن إرثه الأكثر ديمومة وأهميةً كان في مجالات التكنولوجيا والصراعات على وجه الخصوص، وعلى حدّ تعبيره: «في الوقت الحاضر؛ تتعايش مراحل تاريخية مختلفة من التكنولوجيا في

---

(١) المرجع السابق، ص ١٨.

(٢) Mazrui, A. A. (1986). The Africans: A Triple Heritage. London: BBC publications. p.21.

(٣) West, Michael O. (2015). Kwame Nkrumah and Ali Mazrui: An Analysis of the 1967 Transition Debate. p.34.

(٤) Mazrui, Ali A. (2003). The African Experience in Politics and Culture: From Monroe's Doctrine to Nkrumah's Consciencism. Centre de Cultura Contemporania de Barcelona (CCCB). p.1. https://www.cccb.org/rcs_gene/ali_mazrui.pdf

نفس الوقــت داخل إفريقيا، يتعايش الرماح مع الصواريخ الحديثة، والحداد مع مصنع الصلب، والسحر مع الفيزياء النووية، والطب العشبي مع الجراحة المتقدمة»[١].

يرى مزروعي أن إفريقيا أنتجت بالفعل ملوكاً عظماء وإمبراطوريات عظيمة قبل أن يســتعمرها الأجانب، لقد أحدث وصول الغرب اضطرابــاً في العلاقة القديمة بين الأفارقة والطبيعة، وكان تأثير الغرب ضاراً بشكلٍ خاص، فقد أدت الرأسمالية والاقتصاد النقدي إلى التعدي على البيئة الإفريقيــة، وغالباً ما كان ذلــك على يد الأفارقة أنفســهم، وتحت تأثير دافع الربح الذي جاء مع الغرب لم يعد الإفريقي يحترم الطبيعة[٢].

لقــد كان الغرب أكثر براعةً في نقل أدواته التدميرية مــن أدواتــه الإنتاجية، فقــد أصبحت إفريقيــا ما بعد الاســتعمار أكثر تطــوراً من الناحية العســكرية، ولكنها أصبحت أقلّ كفاءة من الناحية الصناعية. وكانت التيارات الدينية للإرث الســامي والغربي ناجحةً بشكلٍ خاص في نقــل أدوات البناء مــن الكنائس والمعابــد اليهودية في إثيوبيا إلى المساجد في منطقة الساحل. وتتراوح أدوات الاتصال الإسلامية بين دور اللغات، مثل العربية والهوسا والســواحلية، والوظائــف التاريخية التــي كانت تؤديها المراكب الشراعية في شرق إفريقيا والإبل عبر الصحراء الكبرى.[٣]

إن التأثيــر اليهودي علــى الهويــة الإفريقية اتخذ أشكالاً متعددة، أهمها الوجود الفعلي لليهود في إفريقيا، بجانب الاختراق الاقتصادي والسياسي اليهودي لإفريقيا، وخاصةً في القرن العشرين. إلا أن تأثير العرب كان الأكثر أهميةً في التجربة الإفريقية مــن العامل اليهودي، ويُعدّ التأثير اللغوي هو أحد أهــم التأثيرات، فقد تضمّن دور اللغة العربية في تعزيز اللغات الأفروآسيوية في إفريقيا.

وكان من أهم التأثيرات المباشرة للغة العربية ظهور لغات جديدة تماماً كاللغة الســواحلية في شرق إفريقيا، وهناك تأثير غير مباشــر للغة العربيــة من خلال لغات أخرى متأثرة بالفعل بالعربية، فقد أثرت اللغة السواحلية في العديد من اللغات الإفريقيــة الأخرى، كما أثرت لغة الهوســا بغرب إفريقيا في العديد مــن اللغات المجاورة، وهناك خطر من أن تتســبب اللغة السواحلية ولغة الهوسا في موت العشــرات بل المئات من اللغات الأصلية، والذي يعني بالضرورة موت للهوية العرقية.

أيضاً هناك دور للغة العربية كوسيلة للتواصل، ويزيد عــدد المتعلمين لها من الأفارقة كلغة في حياتهم اليومية، وقد تم إدخالها في الجامعات الإفريقية، وتتزايد نســبة المسلمين الأفارقة الذين يتقنون اللغة العربية[٤].

وفقاً لمزروعي؛ إذا كانت إثيوبيا هي المختبر للتراث الثلاثــي القديم (التــراث التقليدي، والتراث الســامي، والتراث اليوناني)؛ فإن نيجيريا هي المختبر الكبير للتراث الثلاثي الجديد (التراث التقليدي، والإسلام، والغرب).

الخلاصة أنّ إفريقيا عبارة عن سوق ثقافية تتنافس فيه مجموعة واســعة من الأفكار والقيم المســتمدة من حضارات مختلفة على جذب الأفارقة، وقد استمر تسويق الثقافات فــي إفريقيا لقرونٍ من الزمــان، ولكن التأثير الأكثر أهميةً جاء من الساميين، وبخاصة العرب واليهود. وعلى الرغم من أن إسرائيل تستطيع أن تنافس العرب في النفوذ السياســي وفي برامج التنمية في إفريقيا؛ فإنها لا تســتطيع أن تنافس النفوذ الثقافي العربي وتأثير العرب فــي الهوية الإفريقية، بالإضافة إلــى أن اللغة العبرية لا تستطيع أن تنافس اللغة العربية كقوة رئيسية في التجربة الثقافيــة الإفريقية، وكمصدر للكلمــات للغات الإفريقية الأصليــة[٥]، فلذلك كان التأثير العربي والإســلامي أكثر نفوذاً للقارة الإفريقية من التأثير اليهودي السامي.

إن التراث الثلاثي لا يشكّل لإفريقيا محور الصراع بين

(١) Adem, Seifudein. (2011). Ali A. Mazrui, post-colonialism and the study of international relations. p.510.

(٢) Mazrui, Ali A. (2003). The African Experience in Politics and Culture: From Monroe's Doctrine to Nkrumah's Consciencism. p.1, 2.

(٣) Ibid. p.4-.

(٤) Mazrui, A. (1986). The Africans a triple heritage. Published sinuiltaneously in Canada by Litttle, Brown & Company (Canada) Limited. p.81, 89, 90.

(٥) Ibid. p.93, 97.

الثقافات الأصلية والدخيلة عليها فحسب، بل أيضاً بين التقاليد والحداثة، كما أثر التراث الثلاثي في الصراعات الأساسية الأخرى داخل الحالة الإفريقية، كالتوترات بين المدينة والريف، وبين الجنود والسياسيين، وبين النخبة والجماهير، وبين الجماعات العرقية والطبقات الاجتماعية، وبين المتدينين والعلمانيين، وبين الشوق إلى الاستقلال وأغلال التبعية.

في كتاب «الضمير» يتحدث نكروما بوضوح شديد عن التراث الثلاثي، وبالنسبة له فإن التحدِّي الأكبر الذي يواجه الفلسفة الإفريقية يتمثل في كيفية التوفيق بين هذه التقاليد الفكرية الثلاثة المختلفة للغاية، وكان مفهوم نكروما للضمير هو التقريب الأقرب إلى مفهوم مزروعي (التراث الثلاثي) بالبحث عن التوفيق بين ثلاث حضارات متميزة، لذلك يقول نكروما: «إن استعادة الاستقلال الحقيقي يتطلب إرساء تناغم جديد، تناغم يسمح بالحضور المشترك لإفريقيا التقليدية، وإفريقيا الإسلامية، وإفريقيا الأوروبية المسيحية، بحيث يكون هذا الحضور منسجماً مع المبادئ الإنسانية الأصلية التي يقوم عليها المجتمع الإفريقي. إن مجتمعنا ليس المجتمع القديم، بل هو مجتمع جديد توسع بفعل التأثيرات الإسلامية والأوروبية المسيحية»[١].

ومن وجهة نظر مزروعي: فإن الإسلام يمكن أن يؤدي دوراً حيوياً في بناء إفريقيا الجديدة، فالإسلام على الرغم من تشدده في استخدام اللغة العربية في الصلاة من جانب المسلمين الأفارقة، فإنه كان مع ذلك متساهلاً في العديد من الجوانب الأخرى، ويصف مزروعي هذا الجانب على النحو التالي: «لقد بدَا الإسلام أكثر استيعاباً للثقافة الأوسع في إفريقيا، وأكثر استعداداً للتنازل عن العادات والتقاليد الإفريقية القديمة.

على سبيل المثال: يتناقض استخدام الطبل في بعض الاحتفالات الإسلامية في إفريقيا مع الرفض الصارم للطبول في الاحتفالات المسيحية المماثلة حتى وقت قريب. كما كان الإسلام أكثر توافقا مع بعض العادات الإفريقية ومن الأمثلة على ذلك: مسألة ختان الإناث فالمسيحية الأوروبية ترفض هذه الممارسة وتمنعها سواء كانت للذكور أو الإناث وهي عادة إفريقية في حين أن الإسلام لا يمنعها.

وهناك أيضاً مسألة مجالات التشابه العرضي بين الإسلام وإفريقيا التقليدية، وهناك مجال تشابه واسع النطاق يتعلق بالمواقف تجاه تعدد الزوجات، فالإسلام يحدد عدد الزوجات بأربع، في حين أن إفريقيا التقليدية تتبنّى سياسة مفتوحة، وعادةً لا يميل المسلمون الأفارقة إلى تجاوز عدد الزوجات الأربع في أي حالٍ من الأحوال، وقد قيل على نطاقٍ واسع إن جزءاً من نجاح الإسلام في إفريقيا يرجع على وجه التحديد إلى تسامحه مع تعدد الزوجات مقارنةً بالزواج الأحادي الذي تفرضه المسيحية».

ومع ذلك؛ يسارع مزروعي إلى التحذير من أن مثل هذه الحجة تتجاهل الأنظمة الأخرى التي يفرضها الإسلام، على عكس المسيحية، على الأفارقة، ويذكر مزروعي أن «من بين هذه الأنظمة: حظر الكحول، فقد استخدمت العديد من المجتمعات الإفريقية التقليدية الكحول في مجموعة متنوعة من الاحتفالات الثقافية والطقوسية، ولم يقدّم الإسلام الإفريقي تنازلات بشأن هذه القضية»[٢].

وفي إطار تحليل الميراث الثلاثي؛ فقد شهدت إفريقيا تراثاً ثلاثياً من العبودية؛ العبودية الأصلية، والعبودية الإسلامية، والعبودية ذات التوجه الغربي. وكانت العبودية الأصلية هي الأقل تجاريةً والأكثر إنسانيةً في الأساس، وفيما يتصل بالعبودية الإسلامية فإننا لا نسمع عن تمردات وأعمال شغب العرب السود كما نسمع عن أعمال شغب الأمريكيين السود، والسبب الرئيسي هو أن الثقافة الإسلامية والنسب الإسلامي على مرّ القرون سمحَا بالاندماج الثقافي والزواج بين الأعراق، فإذا كان الأب عربياً وحرّاً فإن الطفل عربي حر حتى لو كانت الأم

(١) Mazrui, Ali A. (2014). African Thought in Comparative Perspective. Cambridge Scholars Publishing. p.97.

(٢) Mazrui, A. (1986). The Africans a triple heritage. p.141, 142.

في الأصل أمة إفريقية. أما تجارة الرقيق عبر الأطلسي فكانت الأكثر وعياً بالعنصرية، والأضخم حجماً، والأكثر مقاومةً للاستيعاب، ولكن على الرغم من أن الغرب نجح على الأقل في توليد حركة إلغاء العبودية الخاصة به؛ فإنه في الوقت ذاته نجح في توليد إمبراطوريات جديدة[١].

وفقاً لمزروعي فإن «الغرب هو المذنب الأكبر في استعباد الأفارقة من العرب أو الأفارقة»، وعلى هذا فمن العدل أن يعوّض الغرب إفريقيا عن دوره في العبودية والاستعمار والفوائد المترتبة عليهما. وعندما سُئل مزروعي عمّا إذا كان ينبغي للعالم العربي أن يدفع تعويضات لإفريقيا أيضاً؟؛ أجاب أنه حتى لو فعل ذلك فإنه لا ينبغي له أن يتبع نفس المعايير التي يتبعها الغرب. ويرتكز موقفه على فكرة مفادها أن «قضية أين ينتهي العربي ويبدأ الإفريقي- هي استمرارية؛ في حين أن قضية أين ينتهي الغرب في الولايات المتحدة ويبدأ الرجل الأسود- هي ثنائية». ولقد تعرض مزروعي لانتقادات شديدة بسبب السماح لولائه لعقيدته، ذلك أن فكرة التعويضات لا تعتمد على كيفية معاملة العبيد، بل على حقيقة مفادها أن كلاً من العالم العربي والغرب استفاد من تجارة الرقيق هذه على حساب إفريقيا[٢].

وعن مصير الدولة بعد الاستعمار؛ فإنها- وفقاً لمزروعي- تخضع لجاذبيتين سلبيتين: جاذبية الاستبداد وجاذبية الفوضى. والسبب الرئيسي وراء الجدلية بين الاستبداد والفوضى هو هشاشة المؤسسات الموروثة من الحقبة الاستعمارية. وعلى الصعيد السياسي؛ أصبحت إفريقيا محاصرةً بين تقليدين أو أكثر، وهناك فجوة ثقافية بين المؤسسات الجديدة من الغرب والثقافات القديمة في إفريقيا والإسلام.[٣]

إن التناقضات بين العرب والأفارقة تتجسد في الصور الذهنية والصور النمطية السلبية السائدة بين العرب والأفارقة، ولابد من التغلب على مشكلة الهوية التي كانت تشكّل حاجزاً أمام الشراكة بين الجانبين، حيث تعكس مناطق مثل دارفور وشمال مالي وموريتانيا ثنائية الهوية بين العرب والأفارقة التي رسختها الموروثات الاستعمارية والسياسات الوطنية الخاطئة، ولابد من تبنّي منظور جديد يركز على أهمية الاستفادة من التجربة المشتركة للشعوب العربية والإفريقية على قدم المساواة. وتمثل الثقافة الإفريقية العربية، التي تعكسها الهجرات الإفريقية العربية وعلاقات الدم والمصاهرة، مدخلاً رئيسياً لإزالة آثار الماضي والمضي قُدماً نحو المستقبل. لقد انتبه مزروعي إلى ضرورة التمسك باللغة العربية كعامل ثقافي مُوحِّد، موضحاً أنها لغة إفريقيا، وخلص مزروعي إلى أن العرب والأفارقة شيءٌ واحد[٤].

ووفقاً لما ذكره مزروعي؛ فقد كان المسلمون ضحايا للغرب سياسياً وثقافياً، فمن الناحية السياسية كانت الدول الإسلامية هدفاً للاستعمار الغربي والاستعمار الجديد طيلة القرن العشرين، إن العدوان الغربي على المسلمين لم يكن مباشراً دائماً، فقد أشار مزروعي إلى مثال واضح للعدوان غير المباشر، وهو الدعم الغربي غير المشروط لإسرائيل، ففي حين رعت بريطانيا تقسيم فلسطين الذي أدى إلى ميلاد الدولة الصهيونية؛ ساعدتها فرنسا في بناء قدراتها النووية، واستمرت الولايات المتحدة في تزويدها بكل أنواع الدعم الاقتصادي والسياسي والعسكري، وكان هناك عدوان غير مباشر آخر من خلال الأمم المتحدة، التي اعتبرها مزروعي منظمة دولية رئيسية يستخدمها الغرب لتحقيق مصالحه الخاصة[٥].

وبناءً على ما تقدم؛ يتلخص موقف مزروعي من الهوية الإفريقية في تفسير مكونات الهوية الإفريقية ذات الميراث الثلاثي الأصل الإفريقي التقليدي؛ والذي يتمثل في:

(١) Mazrui, Ali A. (2003). The African Experience in Politics and Culture: From Monroe's Doctrine to Nkrumah's Consciencism. p.4.

(٢) Adjei, Paul Banahene. (2005). Mazrui and His Critics. p.91, 92.

(3) Mazrui, Ali A. (2003). The African Experience in Politics and Culture: From Monroe's Doctrine to Nkrumah's Consciencism. p.5.

(٤) Njogu, Kimani & Adem, Seifudein. (2017). Critical Perspectives on Culture and Globalisation: TheIntellectual Legacy of Ali Mazrui. p.135, 136.

(٥) Ibid. p.163.

١- المـــوروث الثقافي والاجتماعـــي الأصلي للقارة، ويشمل اللغات والعادات المحلية.

٢- والإسلام، الذي دخل القارة منذ وقت مبكر، وأثر بشكل عميق في شمالها وشرقها وبعض المناطق الأخرى.

٣- والنموذج الغربي، الذي جلبه الاستعمار الأوروبي، من خلال أنظمته السياسية والاقتصادية والثقافية.

فقـــد رأى المزروعـــي أن الهوية الإفريقية ليســـت أحاديـــة، بل هي نتاج تفاعل هـــذه الطبقات الثلاث، وأن التحـــدي يكمن في خلق توازن بينهـــا بدلاً من الصراع أو الإقصاء.

شدد مزروعي على أن الاســـتعمار الأوروبي لم يسع فقط للســـيطرة على الموارد الطبيعية، بل استهدف أيضاً الهوية الثقافية للأفارقة. ورأى أن تأثير الاســـتعمار أدى إلـــى حالة من الاغتراب الثقافي لدى الكثير من الأفارقة، ممـــا أضعف ارتباطهم بجذورهـــم وتقاليدهم، لذلك دعَا مزروعي إلى «إعادة اكتشـــاف الذات»، أي تعزيز الروابط مـــع الهويـــة الإفريقيـــة التقليدية دون رفـــض العناصر الإيجابية التي قدّمها الإســـلام أو الغرب. اعتقد مزروعي أن الهوية يمكن أن تكون أداةً لتعزيز الوحدة بين شـــعوب القارة؛ إذا ما أُعيد فهمها على أساس الروابط المشتركة بين الأفارقة. وفي الوقت نفســـه؛ أقر بتنوع القارة العرقي والديني، ورأى أن هذا التنـــوع يمكن أن يكون مصدر قوة بدلاً من أن يكون سبباً للانقسام.

أكد مزروعي أنّ الهوية الإفريقية ليست مجرد قضية ثقافية، بـــل هي عامل رئيسٌ في تحقيق التنمية، فرأى أن القارة تحتاج إلى نماذج تنموية تتماشـــى مع خصوصياتها الثقافية، بدلاً من اســـتيراد أنظمة غريبة لا تتناســـب مع واقعها. كان المزروعي مدافعاً عن التعددية الثقافية داخل الهوية الإفريقية، مؤمنـــاً بأن الأفارقة يمكنهم الجمع بين التراث المحلي والتأثيرات الإســـلامية والغربية بشـــكلٍ يخلق تناغماً بدلاً مـــن التنافر. إن موقف علي المزروعي من الهوية الإفريقية كان موقفـــاً توفيقياً وبنّاءً، كما كانت رؤيته تتمحور حول جعل الهوية عنصر قوة وركيزة أساسية للنهضة الإفريقية.

خامساً: من الهوية إلى الوحدة الإفريقية:

إن الوحدة الإفريقية تشـــكّل فـــي واقع الأمر قضية أخرى، تربط بيـــن بلايدن ونكروما ومزروعي في رؤية مشتركة، ولكن مع وجود اختلافات بينهم.

يحدّد مزروعي خمسة مستويات متميزة من الوحدة الإفريقية:

١- الوحدة الإفريقية الواقعة جنوب الصحراء الكبرى، والتي تشمل وحدة السود جنوب الصحراء الكبرى؛

٢- والوحدة الإفريقية الواقعة عبر الصحراء الكبرى، والتي تشـــمل وحدة القارة الإفريقية ككل، سواء في شمال الصحراء الكبرى أو جنوبها؛

٣- والوحدة الإفريقية الواقعة عبر المحيط الأطلسي، والتي تشمل وحدة إفريقيا وشتاتها عبر المحيط الأطلسي؛

٤- والوحـــدة الإفريقيـــة الواقعة فـــي نصف الكرة الغربي، والتي تشمل وحدة الشعوب ذات الأصول الإفريقية في نصف الكرة الغربي؛

٥- والوحدة العالمية، والتي تشمل وحدة كل الأفارقة والسود في مختلف أنحاء العالم[١].

يؤكد مزروعي أنّ إفريقيا تُشـــكِّل حالةً واحدة، فقد أدت التغيرات التي طرقت عبر الســـنين إلى تشكيل وعي جديـــد بالتجاوز الجغرافي لذلك، كمـــا يؤكد نكروما أنه على الرغم من الاختلافات الواســـعة فـــي الثقافة واللغة والأفـــكار بين مختلف أجزاء إفريقيـــا؛ فإن الحقيقة التي تظل قائمةً هي: أننا جميعاً أفارقة ولدينا مصلحة مشتركة في اســـتقلال إفريقيا، والتي تعني بالضرورة استمرارية التاريخ[٢].

رأى المزروعي أن الوحدة الإفريقية تمثل أداة رئيسية للتغلب على التحديات السياسية والاقتصادية والاجتماعية التـــي تواجه القارة، ولكنها تحتاج إلـــى تحقيق توازن بين الوحـــدة والتنوع الذي تتميز به إفريقيـــا. أكد المزروعي أن الوحـــدة الإفريقية ليســـت خياراً مثالياً فحســـب، بل ضرورة إســـتراتيجية لمواجهة آثار الاستعمار، والتحديات الاقتصاديـــة، وهيمنة القـــوى العالميـــة. رأى أن الدول

(١) Bangura, Abdul Karim. (2024). Early Black Thinkers in the Diaspora and Their Conceptualizations of Africa. p.31, 32.

(٢) Mazrui, Ali Al Amin. (2002). Africanity Redefined. Africa World Press, Inc. Vol.I. p.45.

الإفريقية الصغيرة والمجزأة لا تستطيع بمفردها مواجهة التحديات العالمية، مثل العولمة، والمنافسة الاقتصادية، والقضايا الأمنية.

ركز المزروعي في فكرة التكامل الإقليمي كأساس لتحقيق الوحدة القارية، كان يرى أن البدء بمجموعات إقليمية صغيرة، مثل الاتحاد الاقتصادي لغرب إفريقيا والسوق المشتركة لشرق وجنوب إفريقيا، يمكن أن يكون خطوة أولى نحو تكوين كيان إفريقي موحد.

شدد المزروعي على أهمية احترام التنوع العرقي والثقافي والديني داخل القارة، ورأى أن الوحدة الإفريقية لا تعني الانصهار في هوية واحدة، بل تكمن في إيجاد قواسم مشتركة تجمع الشعوب الإفريقية مع الحفاظ على تنوعها. دعَا إلى صياغة هوية إفريقية جامعة تقوم على الاعتزاز بالموروثات المشتركة، كالقيم الثقافية والتاريخ المشترك للنضال ضد الاستعمار. اعتبر مزروعي أن الوحدة القارية تمثل وسيلة لتمكين القارة من استعادة استقلالها الحقيقي والتخلص من الهيمنة الاقتصادية والسياسية للدول الكبرى، ودعَا إلى بناء تحالفات داخلية قوية، تقلل من الاعتماد على المساعدات الخارجية والسياسات المفروضة من القوى العالمية[١].

ومع ذلك؛ لم يكن المزروعي غافلاً عن التحديات التي تعترض طريق الوحدة الإفريقية، مثل الحدود التي خلفها الاستعمار، والانقسامات العرقية، والنزاعات السياسية. لذلك قدّم اقتراحات لتجاوز هذه العقبات، منها وجود قيادة سياسية حكيمة، وتعزيز مؤسسات الاتحاد الإفريقي، وتطوير برامج تعليمية واقتصادية تعزز الشعور بالانتماء القاري. رأى المزروعي أن الوحدة الإفريقية لا تعني بالضرورة تكوين كيان سياسي موحد على غرار الاتحاد الأوروبي، ولكنها تتطلب بناء شبكات من التعاون في مجالات الاقتصاد، والتعليم، والأمن، والسياسة الخارجية. واعتبر أن الوحدة ينبغي أن تتجسد في روح التعاون بين الدول الإفريقية لتحقيق أهداف مشتركة، مثل القضاء على الفقر، وتعزيز التعليم، وتطوير البنية التحتية.

يكمن الاختلاف بين بلايدن ومزروعي في أن بلايدن وُلد في شتات أسود، لكنه أصبح مواطناً من قارة إفريقيا؛ أما مزروعي فقد وُلد في قارة إفريقيا، لكنه أصبح مقيماً في الشتات، لقد أعدتهما حياتهما للالتزام بالوحدة الإفريقية عبر الأطلسي. لقد ذهب بلايدن إلى حدّ التبشير بضرورة «العودة إلى إفريقيا» بين الأمريكيين السود، بالمعنى الحرفي، لتشجيعهم على الهجرة إلى ليبيريا؛ وكان مفهوم مزروعي لـ«العودة إلى إفريقيا» هو أنها ضرورة ثقافية، تعني التبشير بقضية إعادة الأفارقة الثقافية في إفريقيا وفي الشتات.[٢]

الجدير بالذكر: أن الشيخ أنتا ديوب كان من أشد المدافعين عن الوحدة الإفريقية، وعلى وجه الخصوص الوحدة الثقافية والاقتصادية، فقد دعَا ديوب إلى توحيد النشاط الاقتصادي لإفريقيا جنوب الصحراء، بالإضافة إلى توحيد لغة مشتركة يتحدث بها الأفارقة. لكنّ منظور ديوب عن الوحدة الإفريقية يختلف عن المنظور الذي قدّمه نكروما ومزروعي من حيث أن ديوب كان يقصد: وحدة الأفارقة السود داخل القارة الإفريقية؛ في حين أن نكروما ومزروعي يقصدان: الوحدة الإفريقية لجميع الأفارقة داخل القارة الإفريقية وخارجها وعلى مختلف ألوانهم، وهو ما عبّرَا عنه بالقول: «كلنا أفارقة». والواقع أن الوحدة الإفريقية أمرٌ ضروري لجميع الأفارقة للتصدي لمحاولات النيل من إفريقيا ومن العرب على حدّ السواء، لذلك هناك ضرورة ملحة لترابط العرب والأفارقة من أجل تعاون مشترك يضمن النهوض وتحقيق المصالح المشتركة لكِلا الطرفين.

سادساً: رؤية علي أمين مزروعي للنهضة الإفريقية:

تُمثل النهضة الإفريقية في الأساس نداءً واضحاً وخطة عمل لبناء «إفريقيا ذات هوية ثقافية قوية وتراث مشترك وقيم وأخلاق»، كما تتحدث عن تحوّل القارة الإفريقية لغرض تحقيق ولادة قارية جديدة وتحقيق الأحلام الإفريقية الشاملة. صاغ الشيخ أنتا ديوب مفهوم

(١) Ibid. p.209.

(٢) Mazrui, Ali A. (2014). African Thought in Comparative Perspective. Cambridge Scholars Publishing. p.92.

النهضة الإفريقية لأول مرّة، إن السعي لتحقيق النهضة هو اعتـــراف بالتطلعات غير المحققة، جزئياً أو كلياً، للحركة الإفريقية الشاملة[١].

زعم مانديلا Mandela أنّ النهضة الإفريقية كانت حاسمةً لبناء نظام عالمي جديد، نظام أكثر عدالةً وأماناً. وكانـــت هذه النهضة مختلفة تماماً عن النهضة الســـابقة في أوروبا الغربية، التي أســـفرت طموحاتها إلى التوسع العالمي والهيمنة عن ويلات الاستعمار في إفريقيا وأماكن أخرى من العالم. بالنسبة لمانديلا؛ فإن النهضة الإفريقية تستلزم اســـتعادة المبادرة التاريخية الإفريقية في إعادة بناء القارة نفسها وإنشاء نظام عالمي جديد.

أيضاً حـــدّد مبيكي Mbeki أربعة شـــروط لنهضة إفريقيا: أولاً: استكمال مشـــروع إنهاء الاستعمار بتحرير جنـــوب إفريقيـــا؛ وثانيـــاً: إدراك الجماهيـــر الإفريقية والطبقات المتوســـطة لإفلاس الاستعمار الجديد؛ وثالثاً: نهايـــة الحرب الباردة والتنافس بيـــن القوى الكبرى على الهيمنة العالمية؛ ورابعاً: تســـارع عملية العولمة. وبفضل تاريخهـــا المؤلم مـــن العبودية والإمبريالية والاســـتعمار الجديد، وتجارب ما بعد الاســـتعمار من القمع السياسي وعدم الاســـتقرار، وتراكـــم الديون، وتدهور مســـتويات المعيشـــة، فقد اتحدت البلدان الإفريقية في رغبتها في التجديد وإنهاء تهميش القارة في الشؤون العالمية[٢].

وعلى هذا؛ فإن خلاص إفريقيـــا- وفقاً لمزروعي- يكمن في إستراتيجيتين: «ضرورة النظر إلى الداخل نحو أسلاف إفريقيا»، و«ضرورة النظر إلى الخارج نحو العالم الأوسع»[٣].

تتمثل الإســـتراتيجية الأولى في «ضرورة النظر إلى الداخل نحو أســـلافنا، مع التركيز علـــى ذكائنا الأصيل، وحكمتنـــا الجماعية، والجوهر الحقيقي للهوية الإفريقية، وهذا يتطلب الاعتراف بقيمة مواردنا الفطرية والتقليدية، التي مكّنت أسلافنا من البقاء على قيد الحياة في مواجهة موجات الهجمات الشرسة من الأعداء الأجانب والمخاطر الطبيعية. وعلى الرغم من أن لغاتنا قد أثرت إلى حد كبير بفضل التـــراث الثلاثي؛ فإن القائمين على الاتصال لدينا لم يرتقوا إلى مســـتوى توقعاتنا فـــي مجال الترويج للقيم والمـــوارد الإفريقية الأصلية، التي كثيـــراً ما يتم وضعها فـــي مرتبة أدنـــى من الأفكار الأجنبية، ولابد من حشـــد تقاليدنا الغنية في الفنون المسرحية، والأجهزة التربوية، وأدوات التنشئة الاجتماعية لتسهيل التنمية الهادفة للبيئة الإفريقية ككل»[٤].

إن إفريقيا ليســـت جزيرة معزولة، ولابد وأن تمارس دورها المشروع في مجتمع عالمي متزايد العولمة، وبالتالي فإن الإســـتراتيجية الثانية تتطلب «النظر إلى الخارج نحو العالم الأوسع، والذي يشكل أصل العنصرين الأجنبيين في التراث الثلاثي. ومع نضـــج إفريقيا في علاقتها بمناطق العالـــم الأخرى، يتعين عليها أن تكون مســـتعدة لصياغة إستراتيجياتها الخاصة بالتنمية المخططة بشكل انتقائي. إن تنميـــة القارة لا يمكن أن تكون ممكنة ومســـتدامة إلا عندما نتمكـــن من المصالحة مع أســـلافنا، وكذلك بناء علاقـــات جديدة مع العالم الأوســـع، في ظـــل الاحترام المتبادل والكرامة الكاملة»[٥].

قدّم مزروعي ثلاث مســـاهمات بالغة الأهمية لحركة النهضـــة الإفريقية، فقد أكد أهميـــة المهارات الإفريقية الأصليـــة، والقيم الثقافية الإفريقيـــة، ورفع مكانة المرأة الإفريقيـــة كعامـــل للتغيير، وحـــدّد الثقافـــة باعتبارها

(١) Daudu, Innocent A. & Asuelime, Timi Legend. (2019). African Renaissance and Pan-Africanism: The Ethical Leadership Nexus. p.164. https://doi.org/10.31920/2516-5305/2019/s1n1a8

(٢) Zeleza, Paul Tiyambe. (2009). What Happened to the African Renaissance? The Challenges of Development in the Twenty-First Century. uly 2009Comparative Studies of South Asia Africa and the Middle East 29 (2):155-170. p.157. https://www.researchgate.net/publication/240739306_

(٣) Mazrui, A. A. (1986). The Africans: A Triple Heritage, p.21.

(٤) Mazrui, Ali A. (2003). The African Experience in Politics and Culture: From Monroe's Doctrine to Nkrumah's Consciencism. p.8.

(٥) Ibid. p.8, 9.

عدســة للتضامن والإدراك باعتبارها المحرك الرئيسي للعرق الإفريقي في تحرره مــن براثن الإمبريالية الغربية والتبعية[١].

كرّس مزروعي وقته وطاقتــه من أجل تعزيز الهوية الإفريقية وتقدمها، وعلى مدى أكثر من خمسين عاماً، كان واحداً من القوى الفكرية الفريــدة والمدافع عن الوحدة الكاملة لشــعوب إفريقيا، وقد تصــوَّر تحولاً في ظروف شــعوب إفريقيا سواء في الداخل أو في الشتات، وخاصةً فيما يتصل بالعنصرية والتمييز الديني. لقد كان ســعيه الفريــد من نوعه إلى إيجاد إجابات فيما يتصل بالقضايا الاجتماعية والسياسية في إفريقيا نحو تنصيب الاستقلال الحقيقي، والتحول الثقافي، وتقاليد حرية التعبير، والبحث النقدي عن الصدام السلبي بين الحضارات، المتمثلة في الإمبريالية الغربية والإســلام والقيــم الثقافية الإفريقية الأصلية، الذي أعاق القارة في جهودها الإنمائية لتحقيق التقدم البشري.

ومن المثير للاهتمام؛ أن مزروعي قضى أيضاً جزءاً كبيراً من حياته في التعامل مع القضايا المعقدة المتعلقة بالثقافة والإدراك والتحديــث، وقد افترض أن التحديث والتنمية لابد وأن يتجاوزَا القيم الغربية. علاوةً على ذلك؛ كان في طليعة النضــال الدولي والحملة لإعلان العبودية جريمة ضد الإنسانية[٢].

سابعاً: الحداثة والنهضة الإفريقية والمعتقدات التقليدية:

لقد ساهمت أيديولوجية التحديث (ما بعد التحديث) في التشــكيك في العادات المحليــة الإفريقية والمعرفة الأصلية باعتبارها حواجز عفَا عليها الزمن أمام التنمية. وكان مــن المفتــرض على نطاقٍ واســع أن التحديث من شــأنه أن يعمل حتماً على ترشــيد العمليات الاجتماعية والمعتقدات البشــرية. وهذا ينطبق أيضاً على الديانات الإفريقية «التقليدية»، وبخاصــةٍ المعتقدات الخفية، أي الإيمان بالسحر والشعوذة، والتي وصفها الحداثيون بأنها خرافــة. إن أنصار التحديث في إفريقيــا وأماكن أخرى يرغبــون في اقتلاع هذا الاعتقــاد في أقرب وقت ممكن باســم التقدم، ويفضَّل أن يتم ذلك بالوســائل القانونية والحمــلات التعليمية. وحتى يومنا هــذا؛ لا يزال أغلب الخبراء ينظرون إلى التراث الثقافي للمجتمعات الإفريقية من منظور قيود التنمية[٣].

وعن تراجع الفكر والإبداع لإفريقيا ما بعد الاستعمار وفقاً لمزروعي؛ فإن «الاستبداد المتصاعد في الحكومة، وتراجع الحرية الأكاديمية في الجامعات» هما المشكلتان التوأم اللتان أدتَا إلى قتل الفكر في كينيا، وفي تنزانيا.

في بحثه عن السبل الكفيلة بإحياء الفكر في إفريقيا؛ بدأ مزروعي بتحديــد العلاقات التي ينبغي للجامعات أن تربطها بالمجتمع الأوســع، ويؤكد أن الجامعات ينبغي لها أن تكون «أولاً: بعيدة سياســياً عــن الدولة، وثانياً: قريبة ثقافيــاً من المجتمع، وثالثاً: مرتبطــة فكرياً بعالم التعلم الأكاديمي الأوســع». ولأن الجامعات الإفريقية مبنية على النماذج الغربية؛ فإنها تعاني من التبعية الثقافية واللغوية، ونتيجــةً لهذا فإن الجامعات في حين تمكنت من الوصول إلى العالم الأكاديمي الأوسع؛ انتهت إلى عزل نفسها ثقافياً عن المجتمع الإفريقي. ويزعم أن التخلص من هذه التبعية النموذجية والاغتراب الثقافي للجامعات الإفريقية أصبح صعباً بســبب حقيقة تبنيها للغــات الأوروبية، ويؤكد أن اعتماد إفريقيا الفكري والعلمي على الغرب لا ينفصل عن اعتمادها اللغوي.

ويقدّم مزروعي ثلاث إستراتيجيات من شأنها تمكين الجامعات الإفريقية من «تعزيــز التنمية في دولةٍ ما بعد الاستعمار دون تعزيز هياكل التبعية الموروثة من ماضيها الإمبراطــوري»، وهي: تدجين الحداثة، والتنويع الأوســع

(١) Orovwuje, Samuel Akpobome. (2014). The African Renaissance and the Intellectual Legacy of Ali Mazrui. P. 1. https://allafrica.com/stories/201410290053.html

(٢) Ibid, p.2.

(٣) Dirk, Kohnert. (2008). On the Renaissance of African Modes of Thought: The Example of the Belief in Magic and Witchcraft. In B. Schmidt, & R. Schulte (Eds.), Hexenglauben im modernen Afrika: Hexen, Hexenverfolgung undmagische Vorstellungswelten (pp.32-54) https://nbn-resolving.org/urn:nbn:de:0168-ssoar-55674-7. p.34.

للمحتـــوى الثقافي للحداثة، والتغلغـــل المضاد للحضارة الغربية نفسها[١].

في كتاب «نحو الســـلام الإفريقـــي»؛ يؤكد مزروعي الحاجـــة إلى أن يكون الأفارقة رجال شـــرطة أنفســـهم، من خلال الاعتماد بشـــكلٍ أقل على العالم الغربي وتحمّل المسؤولية عن سلامهم واســـتقرارهم في قارتهم. وعلى نحوٍ مماثل، في محاضرة عامة ألقاها في لاجوس في عام ٢٠٠٠م، بعـــد ثلاثة وثلاثين عاماً من نشـــر أول كتاب له، ظل موضوعه كما هو في هذه المحاضرة بعنوان «النهضة الإفريقية: إرث ثلاثي من المهارات والقيم والجنس». وقد عرَّف مزروعي التنمية بأنهـــا «التحديث ناقص التبعية»، وأصر على أن إحدى إســـتراتيجيات التغلب على التبعية تتمثل في التوطيـــن، وبالتالي زيادة اســـتخدام التقنيات والموظفين والأساليب المحلية للتغيير الهادف.

وأكد أن التحديث المحلي ســـوف يشمل الاستخدام الأكبر للغات الإفريقية في الســـعي إلـــى التغيير العلمي والاقتصادي والدســـتوري. وأضاف مزروعي أن أيّ دولة لم تصعـــد إلى مرتبة القـــوة التكنولوجيـــة والاقتصادية الأولـــى من خلال الاعتماد المفرط على اللغات الأجنبية. واستشهد مزروعي باليابان وكوريا كحالات دراسية، وأكد أن الأولى ارتفعت إلى ذروتها الصناعية المبهرة من خلال إدخـــال اللغة اليابانيـــة علمياً، وجعلها وســـيلة التصنيع الخاصة بها[٢].

لقـــد حدّد مزروعـــي خمس إســـتراتيجيات لتجاوز التبعية من أجل التنمية في إفريقيا: إستراتيجية التدجين، التوطيـــن، التنوع، التكامل الأفقـــي (الوطني والإقليمي)، والاختـــراق المضاد[٣]. وقد افتـــرض مزروعي أن جنوب إفريقيا، الذي يرتكز حول جنوب إفريقيا، من المرجح أن يقود الوحـــدة الإفريقية المتمثلة في التكامل الاقتصادي؛ وأن شـــرق إفريقيا ســـوف يقود التكامل اللغوي الثقافي بسبب وجود اللغة الســـواحلية؛ وأن شمال إفريقيا سوف يقود التكامل السياســـي بســـبب الدين واللغـــة والثقافة والتاريخ المشترك بين بلدان المنطقة؛ وأن غرب إفريقيا سوف يقود التكامل العسكري بسبب السابقة التي فعلتها مجموعة مراقبة الجماعة الاقتصادية لدول غرب إفريقيا تحت رعاية الجماعة الاقتصادية لدول غرب إفريقيا[٤].

وفـــي إطـــار ضـــرورة «التدجين»؛ يقتـــرح مزروعي وســـائل يمكن من خلالها للجامعة الإفريقية أن تكتســـب طابعها الإفريقـــي، وأن تتواصل مـــع المجتمع الإفريقي وتتفاعـــل معه. وتشـــمل هـــذه الإســـتراتيجيات: جعل اجتياز اختبار اللغة الإفريقية شـــرطاً إلزامياً للقبول في الجامعة، وجعـــل الأنثروبولوجيا الاجتماعيـــة والثقافية جـــزءاً لا يتجزأ من التعليم الثانوي، والاســـتخدام الفعّال للأدب الشـــفوي، وإدخال تخصص في التقاليد الشفوية، وتوظيـــف متخصصين في الأعشـــاب المحلية في كليات الطب، ودراســـة السحر والشـــعوذة في المناطق الريفية فـــي إفريقيا. ويقترح أيضاً اعتماد معايير مختلفة لتجنيد أعضاء هيئـــة التدريس لتمكين اســـتيعاب «الخبراء» في مختلف مجـــالات الثقافة الإفريقية فـــي الجامعات دون شرط إلزامي، «للحصول على درجة من مؤسسات تعليمية غربية أو من النوع الغربي»[٥].

وفي إطار إستراتيجية «التنوع»؛ يقترح مزروعي تنويع المحتوى الثقافي للحداثة، لأن الاعتماد على بلدان عديدة

---

(١) Aliet, Jacob. (2007). Convergence and Glocalization – Not Counter-Penetration and Domestication: A Response to Prof. Ali Mazrui. Alternatives: Turkish Journal of International Relations, Vol.6, No.1&2. p.2.

(٢) Akoda, Winifred E. (2015). The Contributions of Ali Mazrui to African Historical Scholarship. International Journal of Humanities Social Sciences and Education (IJHSSE). Vol 2, Issue 6. p.66.

(٣) Mazrui, Ali Al Amin. (2002). Africanity Redefined. p.213:402.

(٤) Zeleza, Paul Tiyambe. (2009). What Happened to the African Renaissance? The Challenges of Development in the Twenty-First Century. p.158, 159.

(٥) Ndlovu-Gatsheni, Sabelo J. (2014). 'My life is One Long Debate': Ali A Mazrui on the Invention of Africa and Postcolonial Predicaments p.3.

أكثر أماناً من الاعتماد على بلدٍ واحد، وهذا من شأنه أن يحول الجامعات من «شركة متعددة الجنسيات إلى شركة متعـــددة الثقافات». ويقترح دراســـة الحضارات الصينية والهندية والإســـلامية، إلى جانب إدخال تاريخ العلوم في المدارس الثانويـــة الإفريقية. وبما أن الوصول إلى ثقافة ما يتيســـر إلى حدٍّ كبير من خلال معرفـــة لغتها؛ يقترح مزروعي أن «يتعلم كل طفل إفريقي ثلاث لغات على الأقل، واحدة أوروبية، وواحدة آسيوية، وواحدة إفريقية». ويقترح فـــي النهاية الابتعاد عن «المركزية الأوروبية المفرطة»[١]. ويتعين على الأفارقة أن يســـعوا إلى إيجاد الســـبل لجني أقصى قدرٍ مـــن الفوائد من التعليـــم الغربي، من خلال إتقانه وتسخيره وجعله في متناول المزيد من الأفارقة[٢].

وفي إطار إســـتراتيجية «الاختـــراق المضاد»؛ يقترح علي أمين مزروعي أن يستخدم العالم الثالث «إستراتيجية الاختراق المضاد، على المستويات السياسية والاقتصادية والثقافيـــة، لمواجهـــة المركزية الأوروبيـــة المتنامية في العالم»، ومن أمثلة الاختـــراق المضاد اللغوي في إفريقيا جهود نغوجـــي وا ثيونغـــو Ngugi wa Thiong'o[٣]. ويشـــير مزروعي إلـــى أن ما ينبغي للأفارقة أن يســـعوا إليه هو كيفية إزالة الاســـتعمار من الحداثة وإنقاذها من المركزية الأوروبية المفرطة، وليس الانسحاب منها، الأمر الذي قد يؤدي فـــي نهاية المطاف إلى عزل الأفارقة عن الثقافة العالمية. أيضاً يشـــير مزروعـــي إلى أن إفريقيا نجحت في تحقيق اختراق فني مضاد في موسيقى الجاز، ومن خلال الحرف اليدوية، واستيراد العبيد الأفارقة إلى العالم الجديد. ويزعم مزروعي أن إفريقيا ســـوف تحتاج إلى حلفاء من أجـــل تحقيق التوازن في الاختراق الثقافي المتبادل بين إفريقيـــا والغرب، ويتألف هؤلاء الحلفاء من العالم العربي والشـــتات الأســـود (الأمريكيين السود في المقـــام الأول). ويرى مزروعي أن العرب يشـــكلون حليفاً جذاباً، لأن العرب يشتركون في قارة واحدة مع السود، وقد بدؤوا بالفعل في تنفيذ إستراتيجية اختراق مضاد للغرب من خلال المناورات الاقتصادية[٤].

يـــرى مزروعي أننا فـــي حاجة إلى إســـتراتيجيات لضبـــط قوة الولايات المتحـــدة، أولاً: من خلال الاعتماد على الذات بشـــكلٍ أكبر، وكلما قـــلّ احتياجنا إلى الأمم المتحـــدة كانت الدول أقلّ هيمنـــة. ثانياً: من خلال جعل الأمريكيين يدفعون ثمن أي إســـاءة لاســـتخدام السلطة في الخـــارج، قد يكون ذلك عن طريـــق جعل الأمريكيين يشعرون بعدم محبة الآخرين لهم، أو حتى جعل الأمريكيين يشعرون بعدم الأمان، إن الشكل المتطرف والأقل شرعيةً لهذه الإســـتراتيجية هو السياســـة المعادية لأمريكا. أما الثالثـــة: فتتمثل فـــي اختراق قلاع القـــوة الأمريكية، قد تكون الولايات المتحدة إمبراطورية في الخارج، ولكنها لا تزال ديمقراطية في الداخل، ينبغي للجنســـيات المختلفة داخل الولايات المتحدة أن تتعلم من الأمريكيين الكوبيين، الأمريكيين اليهود، الأقليات التي ســـاهمت في تشـــكيل السياسات الأمريكية من الداخل[٥].

وفي إطار اســـتجواب مزروعـــي للمركزية الأوروبية؛ اســـتخدم الذاتية غالباً كنقطة دخول، فنحن ما نحن عليه بســـبب ما نعتقد أننا عليه (أو ما نُجبـــر على فعله)، إن مزروعـــي لم يقع في فخ «الغرب» أو الميل إلى إلقاء اللوم على الغرب في كل المشـــكلات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية التي ظهرت في فترة ما بعد الاستعمار، بل إن مزروعي يرى في بعض المبـــادئ الأخلاقية التي تطورت في الغرب ميزة عظيمـــة، فقد زعم: «أن الغرب هو الذي يفرض على الغرب أن يفرض على نفســـه صفة الهيمنة»، «إن الثقافة التي تلد الأخلاق ليست بالضرورة هي الثقافة

(١) Aliet, Jacob. (2007). Convergence and Glocalization – Not Counter-Penetration and Domestication: A Response to Prof. Ali Mazrui. p.8. 9.

(٢) Ibid. p.12.

(٣) Njogu, Kimani & Adem, Seifudein. (2017). Critical Perspectives on Culture and Globalisation: TheIntellectual Legacy of Ali Mazrui. p.30, 31.

(٤) Aliet, Jacob. (2007). Convergence and Glocalization – Not Counter-Penetration and Domestication: A Response to Prof. Ali Mazrui. p.11.

(٥) Mazrui, Ali A. (2007). Islam between Clash and Concord of Civilizations: Changing Relations between the Muslim World and the United States. Meeting Record Chatham House, 16 January. p.9.

التي تحقق الأخلاق»[١].

أيضاً في ضوء التطلعات نحو الوحدة الإفريقية؛ يحدد مزروعي دور ممارسات القيادة الأخلاقية في تحقيق إفريقيا المتقدمة، فقد زعم أن العنصر البشري، أي الفاعلون السياسيون والبيروقراطيون، يشكلون جوهر تصوّر السياسات وصياغتها وتنفيذها، وبالتالي فإن شخصية القيادة وتوجهها، سواء كانت أخلاقية أو غير أخلاقية، تؤثر في نتائج السياسات والبرامج والتوقعات أو تضفي عليها صبغة معينة، لذلك تبرز مسألة القيادة فيما يتصل بالأخلاق والشخصية والإرادة البناءة والرؤية في المحادثات حول النهضة الإفريقية والوحدة الإفريقية[٢].

وفي إطار النهضة الإفريقية؛ يرى ضرورة التكامل العربي الإفريقي، نظراً للتحديات التي يواجهها العرب وإفريقيا في الوقت ذاته، فمن جانب تسعى إسرائيل جاهدةً لاختراق منظومة الأمن الجماعي الإفريقي، من خلال مساعيها للانضمام إلى الاتحاد الإفريقي كدولة مراقبة، وعلى الرغم من فشل محاولات إسرائيل فإنها تحاول جاهدةً من خلال وسطاء أفارقة، وخاصةً نيجيريا وإثيوبيا وكينيا، للفوز بعضوية الاتحاد الإفريقي. وهناك صراعٌ دولي جديد على موارد إفريقيا، وسياسات جديدة برزت لإعادة إنتاج الهيمنة الدولية على إفريقيا من خلال آليات وأدوات جديدة.

ومن جانب آخر؛ فإن وجود معسكرات أمريكية في جيبوتي والنيجر، فضلاً عن التدخل العسكري الفرنسي والغربي المباشر في الصراعات الإفريقية، يشكل تهديداً مباشراً للأمن الجماعي العربي والإفريقي. فضلاً عن ذلك؛ فإن محاولات الصين، وبعض القوى الصاعدة الأخرى في النظام العالمي، لكسب النفوذ والسيطرة في إفريقيا، تشكل أيضاً تحديات للنظام الإقليمي الإفريقي العربي. وإذا أخذنا في الاعتبار طبيعة التحديات الاقتصادية والأمنية والسياسية التي تواجه الشعوب العربية والإفريقية؛ فإننا نجد أن الاستجابة لروح مشروع النهضة الإفريقية تعني ضرورة التوجه إلى خيار التعاون الإفريقي العربي المبني على منظور الشراكة والمصالح المشتركة[٣].

إن إفريقيا تتمتع بوفرة من الموارد الوطنية، ولكن النمو الاقتصادي في المستقبل سوف يعتمد في المقام الأول على مهارات العمالة وقدرتها على تسريع التحول الديموغرافي، كما سوف تحتاج القارة إلى الاستثمار في البشر من أجل تعزيز تنميتهم الفردية، ومن أجل تحقيق هذه الأهداف فإننا في احتياج إلى التعليم والصحة وقدر معيّن من الأمن الاقتصادي، ولا يمكن تجاهل العلاقة بين اللغات والثقافات في التنمية، وذلك لأن اللغة ليست مجرد وسيلة لنقل المعلومات، بل هي أيضاً أداة للإبداع والابتكار والألفة والتضامن، إن اللغة هي أداة للتنمية[٤].

يمكن تلخيص موقف مزروعي في إشكالية النهضة الإفريقية بأنه إعادة اكتشاف الهوية الإفريقية، اعتقد المزروعي أن النهضة تبدأ من فهم الأفارقة لذاتهم وهوياتهم الثقافية، ورأى أن القارة تمثل نقطة التقاء بين ثلاث حضارات: الإفريقية الأصلية، الإسلامية، والغربية، وأكد أن نهضة القارة تعتمد على تحقيق توازن بين هذه الموروثات، دون إلغاء أيٍّ منها. رأى مزروعي أن التعليم يمثل الركيزة الأساسية لتحقيق النهضة، فدعَا إلى تطوير نظام تعليمي يرتبط بالواقع الإفريقي ويخدم احتياجاته، كما شدد على أهمية التكنولوجيا في النهوض بالمجتمعات الإفريقية، ولكن بشكل يناسب بيئتها وتطلعاتها. أيضاً كان المزروعي من المدافعين عن الوحدة الإفريقية كوسيلة لتعزيز النهضة، واعتقد أن تعاون الدول الإفريقية في المجالات الاقتصادية والسياسية يمكن أن يسهم في خلق قارة قوية قادرة على المنافسة عالمياً. ودعَا إلى

(١) Adem, Seifudein. (2011). Ali A. Mazrui, post-colonialism and the study of international relations. Journal of International Relations and Development. 14. (506–535). P.520.

(٢) Daudu, Innocent A. & Asuelime, Timi Legend. (2019). African Renaissance and Pan-African-ism: The Ethical Leadership Nexus. p.166.

(٣) Njogu, Kimani & Adem, Seifudein. (2017). Criti-cal Perspectives on Culture and Globalisation: TheIntellectual Legacy of Ali Mazrui. p.131.

(٤) Ibid. p.22.

تنمية شـــاملة تضمن مشـــاركة جميع فئات المجتمع، مع التركيز على حقوق المرأة وتمكين الشباب. رأى المزروعي أن النهضة الإفريقية ليســـت مجرد عملية تقليد للنماذج الغربية؛ بل يجـــب أن تكون نابعةً مـــن احتياجات القارة وخصوصياتها الثقافية والتاريخية.

ثامنًا: نقد علي مزروعي:

علـــى الرغم من المكانـــة الفكريـــة المرموقة لعلي الأمين المزروعي، وتأثيـــره الكبير في القضايا الإفريقية والعالمية، فإن أفكاره تعرضت لانتقادات متنوعة من عدة جوانـــب، هذه الانتقادات جاءت مـــن أكاديميين ومثقفين ينتمون لتيارات فكرية مختلفة، بعضها ركز على مضامين أفكاره، والبعض الآخر على منهجيته أو مواقفه السياسية.

وعلى الرغم من وجود مؤيدين لفكرة مركزية إفريقيا من المعجبيـــن بنكروما من جهة، فهناك منتقدون لمفهوم مزروعـــي للتراث الثلاثي لإفريقيا مـــن جهةٍ أخرى، فهل مزروعي نفسه مركزي إفريقي أو أوروبي أو إسلامي؟

ينتقـــد عالم إفريقيا هايلو هابتـــو Hailu Habtu مزروعي لتصويره إفريقيا باعتبارها «سوقاً ثقافياً»، حيث تتنافس مجموعة واسعة من الأفكار والقيم المستمدة من حضـــارات مختلفة. بعبارةٍ أخـــرى: يوضح مزروعي تأثير الحضارات الأخـــرى في إفريقيا، ولكنه يتجاهل بشـــكلٍ مدهش مســـاهمات إفريقيا في الحضارات الأخرى. كما اتهم هابتو مفهوم مزروعـــي للتراث الثلاثي لإفريقيا بأنه مفهوم أوروبي في الأســـاس، وزعم أنه بدلاً من دراســـة التأثيرات الخارجية، مثل الإســـلام والغرب، على إفريقيا، كان ينبغـــي لمزروعي أن يتناول مســـاهمات إفريقيا في اليهودية والمسيحية والإسلام والتراث اليوناني الروماني للغرب[١].

أيضاً وجّـــه موليفي كيتي أســـانتي Molefi Kete Asante ســـهام النقـــد لمزروعي، وزعم بأنـــه «مركزي أوروبـــي» في الأســـاس، متخفيـــاً في هيئة شـــيءٍ آخر؛ فأســـلوب مزروعي الموجز، رغم أنه جذاب في كثيرٍ من الأحيان، يخفي التوجه الأوروبي الليبرالي في جوهره، فهو يرى القارة دائماً وكأنها ضحية ومستغلَّة وعاجزة.

وبينمـــا اتهم هؤلاء الأفارقـــة المزروعي بأنه متحيز لأوروبا في الأســـاس؛ اتهمـــه الحائز علـــى جائزة نوبل النيجيري وولي ســـوينكا Wole Soyinka بأنه متحيز للإسلام[٢].

ورغـــم أن مزروعي يزعـــم أن إفريقيـــا تضم ثلاث حضارات (إفريقية، وإســـلامية، وغربيـــة)؛ فإن منتقديه يرون فيه إمّا ليبرالياً غربياً في المقام الأول (مثل موليفي أســـانتي)، أو دعاة إسلاميين في المقام الأول (مثل وولي سوينكا).

إلا أن مزروعي يرى نفسه تجسيداً حياً للتراث الثلاثي، وهـــو الذي قضى جزءاً كبيراً من حياته في محاولة تعزيز المصالح الإفريقية في إفريقيا والغرب والعالم الإسلامي. فكان الميراث الثلاثي بالنســـبة لمزروعـــي رؤية لمنظورٍ بديل لإعادة كتابة بعض جوانب التاريخ الإفريقي[٣].

وبناءً على ما تقدم؛ يمكن إيجاز الرؤية النقدية لفكر علي أمين مزروعي في النقاط الآتية:

١- اتســـم مزروعـــي بتوفيقية مفرطـــة في طرحه لمســـألة الهوية الإفريقيـــة، حيث رأى بعـــض النقاد أن محاولته للتوفيق بين الإرث الإفريقي والإسلامي والغربي قـــد تؤدي إلى فقدان هوية محددة وواضحة للقارة. اعتُبر هـــذا النهج غير عملـــي لأنه، وفقاً للنقـــاد، لا يأخذ في الحســـبان التعقيدات والصراعات التي قد تنشأ بين هذه المكونات الثلاثة.

٢- علـــى الرغم من دعمه للوحـــدة الإفريقية؛ انتُقد المزروعي لعـــدم تقديمه رؤية واضحة حول كيفية تحقيق هذه الوحدة عملياً، خاصةً في ظل التحديات السياســـية والاقتصاديـــة والاجتماعيـــة التـــي تواجه القـــارة. رأى بعض النقاد أن أفكاره عن الوحـــدة الإفريقية كانت أكثر تركيـــزاً على البُعد الثقافي منها على البُعدين السياســـي والاقتصادي.

٣- انتُقد المزروعي لتركيزه الكبير على البُعد الثقافي

(١) Adjei, Paul Banahene. (2005). Mazrui and His Critics. p.89.

(٢) Mazrui, Ali A. (2014). African Thought in Comparative Perspective. p.98.

(٣) Ibid. p.98.

في تفسير قضايا إفريقيا، بينما رأى البعض أن التحديات الكبرى للقارة تتعلق بالاقتصاد والتنمية، والتي لم تحظَ بالاهتمام الكافي في طرحه. اعتبر بعض النقاد أن الحلول الثقافية التي طرحها قد تكون غير كافية لمواجهة المشكلات الاقتصادية الهيكلية. كما رأى بعض النقاد أن المزروعي كان متفائلاً بشكلٍ مفرط بشأن قدرة إفريقيا على تحقيق النهضة والتوازن بين مكوناتها الثقافية، دون أن يأخذ في الحسبان التحديات الكبيرة التي تواجهها القارة، مثل النزاعات المسلحة والفساد السياسي.

خاتمة:

إنّ قضية الهوية والنهضة الإفريقية شكّلت محوراً رئيسياً في الفكر الإفريقي الحديث والمعاصر، فقد تنوعت الاتجاهات وطرق معالجة الموضوع بين المفكرين الأفارقة، ورغم الاختلاف في تناول القضية فإن القاسم المشترك بينهم هو الدفاع عن الهوية الإفريقية وفضح ممارسات الاستعمار العنصرية، بالإضافة إلى رؤيتهم المشتركة حول الوحدة والنهضة الإفريقية وتطلعات الشعوب المستقبلية.

شكّلت أفكار علي الأمين المزروعي حول القضايا الإفريقية المعاصرة إطاراً فكرياً غنياً ومتعدد الأبعاد، يسعى إلى معالجة التحديات التي تواجه القارة من منظور شامل يتجاوز الحدود الجغرافية والثقافية.

انطلق المزروعي من إيمانه العميق بقدرة القارة على تحقيق النهضة إذا ما تم استيعاب دروس التاريخ، وتفعيل الإمكانيات الكامنة في الهوية الإفريقية المركبة، والتوفيق بين تأثيرات الإسلام والغرب، والعمل على تعزيز الوحدة الإفريقية.

عالج المزروعي قضايا الهوية الإفريقية باعتبارها محوراً لتحقيق التنمية المستدامة، داعياً إلى استعادة الثقة في التراث الإفريقي، دون الانغلاق أو الانعزال عن العالم. كما شدد على أهمية الوحدة الإفريقية كوسيلة إستراتيجية لمواجهة التحديات الكبرى، مثل الفقر، والنزاعات، والاستعمار الجديد، لكنه أقر بأن هذه الوحدة يجب أن تُبنى تدريجياً وباحترام للتنوع الثقافي داخل القارة.

وعن موقفه من الغرب والإسلام، فقد أظهر المزروعي قدرة متميزة على النقد البناء، حيث دعَا إلى الاستفادة من الإنجازات الغربية في مجالات التكنولوجيا والعلوم، مع الحفاظ على الروح والقيم الإفريقية والإسلامية التي اعتبرها مكونات أساسية لهوية القارة.

أيضاً قدّم مزروعي رؤية ذات أهمية لخروج إفريقيا من المأزق الحالي، والمتمثل في الصراع المنتشر بين الثقافات المختلفة والمتعددة في القارة الإفريقية، بضرورة التنسيق وقبول جميع الثقافات في وحدة واحدة لتحقيق التنمية والنهضة الشاملة للقارة الإفريقية. أيضاً ضرورة الترابط والاتفاق بين العرب والأفارقة لمواجهة التحديات الاستعمارية من جانب، والتحديات التنموية من جانبٍ آخر.

وعلى الرغم مما واجهته أطروحات مزروعي من انتقادات تتعلق بالتوفيقية المفرطة أو التفاؤل الزائد؛ تبقى رؤيته رمزاً لفكر تحرري وإنساني يهدف إلى تجاوز الماضي الاستعماري، وبناء مستقبل تستعيد فيه إفريقيا مكانتها العالمية، دون أن تفقد خصوصيتها الثقافية والتاريخية.

ورغم الانتقادات شديدة القسوة لمزروعي فإنه يظل أحد أهم المفكرين الأفارقة المدافعين عن الإسلام والعرب والهوية الإفريقية، ويظل واحداً من أعظم الشخصيات التي كشفت المنظور الغربي المعادي للإسلام، ومحاولة الغرب لتشوية صورة الإسلام في المجتمعات الأوروبية ■